١٠

محامى الشيطان

سأناضل بقية حياتى ضد العنصرية والتمييز العرقى

• أرنون ميلتشان لجريدة لوس أنجلوس تايمز فى ٢٨ فبراير ١٩٩٢

فى يونيو ١٩٧٥، دعى أرنون ميلتشان من قبل صديقه شمعون بيريز، والذى كان آنذاك وزير الدفاع فى حكومة رئيس الوزراء إسحاق رابين، إلى أحد أغرب الاجتماعات فى حياته. وطلب منه أن يشترك فى مخطط مغر، بزعم مساعدة بلده، وأنه إن جارى هذا المخطط، فسيتاح له عالم جديد كامل من الفوائد المحتملة.

obeikandl.com

عقب حرب يوم الغفران، قطعت خمس وعشرون دولة إفريقية علاقاتها الدبلوماسية بإسرائيل. وحتى ذلك الحين، كانت إسرائيل تربطها علاقات جيدة عبر قارة إفريقيا، وكانت تقدم التدريب والمعونة إلى العديد من الدول النامية، وكانت تحصل على المواد الخام فى المقابل. لم يحمل المستشارون الإسرائيليون، الذين كانوا ينتشرون عبر قارة إفريقيا، الطابع الاستعمارى مثل أقرانهم من فرنسا وإنجلترا. وانبهر الأفارقة حقاً بقيم المساواة التى يبديها الإسرائيليون، والذين كانوا لا يمانعون مشاركة العمل الشاق مع الأفارقة.

وأبقت إسرائيل على علاقاتها بدولة جنوب إفريقيا سرية وذلك لتتجنب إهانة الدول الإفريقية الصديقة ذات الأغلبية السوداء وكانت هناك معارضة أصيلة داخل إسرائيل لفلسفة الفصل العرقى. وكانت الدولتان لا تربطهما حتى علاقات دبلوماسية كاملة على صعيد السفراء. لكن أياً من هذا لم يكن كافياً بالنسبة للدول

الإفريقية لتجاوز الضغوط العربية، وما صاحبها من دولارات نفطية، لقطع العلاقات مع الدولة اليهودية عقب حرب يوم الغفران. واكتمل الانعزال الإسرائيلى عن إفريقيا مع نهاية عام ١٩٧٣ تقريباً.

وكان الموقف بالنسبة لجنوب إفريقيا بائساً بنفس القدر، وتصاعدت المشاعر المناهضة للعنصرية حول العالم واندلعت أعمال العنف فى البلاد. وبحلول ٣٠ نوفمبر عام ١٩٧٣، أعلنت الأمم المتحدة أن الفصل العرقى يعد جريمة ضد الإنسانية، وتبع ذلك المقاطعات الاقتصادية وحظر الأسلحة. بل إن رياضيى جنوب إفريقيا حرموا من الاشتراك فى المسابقات الدولية. ووصلت العزلة الدولية لجنوب إفريقيا مستويات غير مسبوقة وكانت تشارف على ما هو أسوأ.

وعلى النقيض من التخلى الإفريقى عن إسرائيل فى أول اختبار حقيقى

obeikandl.com

لعلاقاتهم، هبت جنوب إفريقيا للعون في ساعة يأسها عام ١٩٧٣، بالرغم من أن الدولتين لم تكن تربطهما علاقات دبلوماسية كاملة. بحث وزير الدفاع بي دبليو بوثا -والذي أصبح رئيس الجمهورية لاحقاً- عن أية وسيلة ممكنة لتقديم الدعم المعنوي وحتى المادي لها. هرع أكثر من ١٥ ألف جنوب إفريقي معظمهم من اليهود للقتال في صفوف إسرائيل، وقدمت حكومة جنوب إفريقيا أكثر من ٣٠ مليون دولار كمعونة لإسرائيل.

وعقب الحرب، أطبقت الحقيقة القاسية للانعزال الدولي على كلا البلدين، وعلى سبيل الحفاظ على بقائهما كان من الحتمي أن تتعاون الدولتان معاً.

وفي يونيو عام ١٩٧٥، نظم أوسكار هورويتز وهو رجل أعمال جنوب إفريقي بارز ومهندس معماري، وعميل سري في المجتمع الاستخباراتي جنوب الإفريقي، اجتماعاً الهدف الرئيسي منه بناء علاقة جديدة بدولة إسرائيل.

ووصل الوفد جنوب الإفريقي محفوفاً بسرية بالغة. وكان على رأس الوفد وزير الداخلية الدكتور كوني مولدر، والذي كان نجماً صاعداً في النشاط السياسي في جنوب إفريقيا، وبدا وريثاً محتملاً لرئيس الوزراء جون فوستر، وصاحبه الجنرال هندريك فان دين بيرغ، رئيس هيئة الأمن القومي في جنوب إفريقيا، ووزير المعلومات المستقل إسشيل رودي. وتجاهلت المهمة وزير الخارجية، والذي اعتبروه كسولاً وبيروقراطياً وغير فاعل.

وكانت المهمة هي وضع أسس اجتماع لم يكن ليخطر على بال في السابق، بين رئيس الوزراء جون فوستر ورئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين.

وتناقشوا بصراحة بشأن مأزق جنوب إفريقيا الصعب وكشفوا عن خطة خمسية بالغة السرية، وافق عليها رئيس الوزراء فوستر، ليحاول التأثير على الرأي

العام العالمى ليؤيد النظام العنصرى لجنوب إفريقيا، ويطلب المشاركة الإسرائيلية فى دور استشارى.

طلبوا على وجه التحديد من بيريز ورابين تسمية شخص للانضمام لمجموعة سرية تدعى نادى العشرة. تتكون من عشرة أشخاص فاعلين من عشر دول مختلفة، ويفعلون كل ما بوسعهم لإيقاف الحظر والمقاطعة، وتحسين صورة جنوب إفريقيا بواسطة شراء القنوات الإعلامية أو التأثير فيها.

واُختير هؤلاء العشرة بعناية وفقاً لجشعهم، وعلاقاتهم، وحماسهم، وكفاءتهم، وقدرتهم الفائقة على إنجاز الأمور، على أن يعملوا فى تعاون سرى مباشرة مع وزارة المعلومات التى يرأسها إسشيل رودى. وكان إسشيل قد أسس شركة واجهة بالفعل وأسماها "ثورة للاتصالات" لتنسيق أنشطتهم وتمويلها، شملت تلك الأنشطة التخطيط للعملية ديفيد والإشراف عليها، واحتوت كل شىء بدءاً من التبادل الثقافى الرياضى بين جنوب إفريقيا وإسرائيل إلى صفقات الدفاع العسكرى السرية والتعاون النووى.

وتم تصميم المشروع برمته كحرب نفسية مكتملة التمويل لا تطبق عليها أية رقابة حكومية أو قواعد، مع الالتزام بأن تكون الأعمال الورقية بأقل قدر ممكن وتدمير أى شىء غير ضرورى مع تفضيل العمل بدون أوراق. كان هذا ما قاله رئيس الوزراء فوستر لإسشيل رودى، والذى اختاره للإشراف على العملية برمتها.

وتم تمويل المؤسسة السرية بمئات الملايين من الدولارات الأمريكية.

وكما فى حالة الإسرائيليين، فقد تم تمويل المشروع السرى الطموح بشكل غير رسمى، وبدون موافقة البرلمان. وكانت التمويلات تأتى من احتياطى الذهب الضخم لجنوب إفريقيا فى لندن، وتم نقل شحنة ضخمة من القضبان الذهبية فى ظل تأمين

obeikandl.com

مكثف من لندن إلى خزينة مصرفية فى زيوريخ،وبعكس بريطانيا، فقد كانت قوانين السرية المصرفية السويسرية آنذاك مناسبة أكثر لخدمة أهداف جنوب إفريقيا السرية.

وفى مقابل المساعدة الإسرائيلية فى مجال التكنولوجيا العسكرية والعلاقات العامة التى تدار بشكل سرى، كانت جنوب إفريقيا مستعدة لخلق عالم كامل من الاحتمالات فيما يخص عقود الدفاع العسكرى والوصول لمواردها الطبيعية الكثيرة، وخاصة اليورانيوم. وكان لابد من اختيار رجل طليعة من إسرائيل، لينضم إلى نادى العشرة. وكان لهذا الشخص أن يبرم عقوداً وصفقات مربحة محتملة أخرى فى خطوط الأنابيب.

وعقب الاجتماع فكر كل من رئيس الوزراء رابين وشمعون بيريز فى الأمر بعناية، ليقيّما المخاطر والمكاسب المحتملة. وبما أن علاقات الدولة العنصرية مع معظم الدول الإفريقية كانت متفسخة، كانت الحاجة للحفاظ على سرية علاقة إسرائيل مع جنوب إفريقيا. وآنذاك طلب وزير الخارجية الأمريكى هنرى كسينجر أن تكون إسرائيل وكيلته فى دعم معركة جنوب إفريقيا ضد القوات الشيوعية فى أنجولا.

بعد أن تجرعت إسرائيل مرارة حرب يوم الغفران وغدت على مشارف الدمار الكامل، كان الاتجاه السائد فى إسرائيل هو أن يوضع بقاؤها فى الاعتبار قبل أى شىء آخر. وكانت جنوب إفريقيا تمثل سوقاً كبيراً وغنياً لمبيعات الأسلحة الإسرائيلية والحفاظ بذلك على استمرار صناعات المعدات العسكرية المحلية. والأهم من ذلك، كانت إمكانية توفير مصدر إمداد ثابت لليورانيوم ومواقع الاختبار النووى هى الأكثر إغراء.

obeikandl.com

وعلى الرغم من أن الفصل العنصرى كان فلسفة مكروهة ومرفوضة، وأن رئيس وزراء جنوب إفريقيا جون فوستر، سجن فى شبابه لاتهامه بالتعاطف مع النازية، وعلى الرغم أيضاً من حظر السلاح الذى فرضته الأمم المتحدة على جنوب إفريقيا منذ ٧ أغسطس ١٩٦٣، كانت كلها حقائق مقلقة، لكنها لم تطغ على المكاسب المحتملة لتحالف استراتيجى سرى بين البلدين.

أقنع بيريز رابين بأن الخيار المتاح كان خياراً بين بديلين موصومين، وأن حركة جنوب إفريقيا السوداء تدعم عرفات والاتحاد السوفييتى، وتقف ضد إسرائيل. وأضاف قائلاً: لكننا لن نكف أبداً عن شجب العنصرية، ولن نوافق عليها أبداً.

قرر كل من بيريز ورابين المصادقة على خطة مولدر وردى، ووقع اختيارهما بالفعل على شخص نشط يجيد كتمان الأسرار، ويعمل فى الخفاء، ولا يخاف الخطر ويكره التورط فى شىء. وكان هذا الرجل هو ميلتشان، وتحرك بيريز فى الحال لتنظيم الاجتماع.

وعندما وصل ميلتشان قوبل بتحيات حارة من بيريز، الذى قدمه لمولدر، والجنرال فان دين بيرج، وردى. كان ديفيد كيمشى، وهو عميل بارز فى الموساد ومتخصص فى الشأن الإفريقى، حاضراً أيضاً، ولم تكن هناك حاجة للمقدمات، وتبادلوا كلهم التحيات وجلسوا لإجراء حديث هادئ.

وبدأ بيريز الحديث بأن أخبر الضيوف بأن ميلتشان رجل أعمال مستقل، تثق فيه الحكومة الإسرائيلية، ويمتلك شركة للأسمدة والمواد الكيماوية. وشرح أنه قام بإتمام العديد من المشاريع الهامة الإسرائيلية الأمريكية المشتركة فى إيران، وأنه يتولى توفير نسبة كبيرة من مشتريات الدفاع العسكرى

الإسرائيلية، وأنه طموح للغاية.

وتفاجأ كل من مولدر ورودى عندما رأيا أن ميلتشان لا يزال فى الثلاثين من عمره. وبدأ رودى يمطر ميلتشان بالأسئلة عن آرائه فى جنوب إفريقيا والعالم بشكل عام. وسرعان ما نجح ميلتشان فى جعل ثلاثى جنوب إفريقيا يتخلون عن حذرهم بسحره المميز، وذكائه، ومعرفته المدهشة بشئون العالم، وحماسته الشبابية. وكمعظم من قابلوه، أعجبوا كلهم به فى الحال.

كان الشعور متبادلاً. وبالرغم من أن إسشيل رودى كان فى الأربعينيات، لكن سرعان ما اكتشف الرجلان أن طباعهما متشابهة، إذ إن كليهما كان رياضياً وشغوفاً بالتنس، وكان لهما أن يلتقيا فى ملاعب التنس لسنوات عدة، وكان كلاهما يقدر الحياة المترفة، والنبيذ الفاخر، والأطعمة الراقية، والنساء، والقمار. وكلاهما كان جامح الخيال وذا نزعة للمجازفة فى أى شىء يفعلانه.

دعا رودى ميلتشان إلى جنوب إفريقيا لتعزيز صداقتهما، ومن هنا بدأت مغامرة ميلتشان الرائعة فى جنوب إفريقيا، والتى أحيط معظمها بالسرية، لكن ما عرف عن أنشطته هناك يكفى ليجعلنا نستنتج بكل ثقة، أنها كانت عميقة، وسرية، وعالية الربح، ومثيرة للجدل.

لم يكن ميلتشان محباً يوماً للفصل العنصرى على المستوى الفكرى. قال فيما بعد بصوت متألم: فقط لو كنت أعرف، كنت شاباً، جاهلاً، وساذجاً، وظننت أن وجودى هناك ممتع. وبدأت مشاركته، بمعرفة من حكومته من أجل المصلحة العليا لبلده، وعلى سبيل الوطنية، ويمكن تقسيم أنشطته إلى ثلاث فئات رئيسية: شراء معدات الدفاع العسكرى، وحرب الدعاية، والتعاون النووى.

عندما وصل ميلتشان لجنوب إفريقيا لأول مرة، فوجئ بأنه تم استقباله وكأنه

رئيس دولة.«قابلني إستيل رودى بحفاوة بالغة، ولم يكن في وسعى إلا أن أنبهر بذلك». رأى أفارقة سعداء يرقصون على دقات الطبول المحلية، وقدم له الأطفال الصغار الهدايا التراثية، بدا الأمر مثالياً، وعلى النقيض تماماً من حقائق الفصل العنصرى.

وبعد الرسميات، تم اصطحاب ميلتشان إلى فندق فخم فى جوهانسبيرج، وعلى العشاء، قدم إليه رودى شيئاً ليتفحصه. وكان ذلك هو جواز ميلتشان جنوب الإفريقى الجديد، وكانت تلك هى طريقة رودى ليخبر ميلتشان بأنه صار واحداً منهم.

وعلى العشاء أطلعه رودى على خطة العمل. كانت مهمتهم هى التعرف على صناع الرأى العام فى الإعلام الغربى والقنوات الترفيهية، مثل الصحفيين، والرموز الثقافية، والسياسيين، واستهدافهم بغرض تجنيدهم بدهاء لخدمة القضية جنوب الإفريقية [العنصرية] بواسطة الإقناع الرقيق، والرشاوى، وحتى شراء الأهداف المسيطرة فى جل القنوات الإعلامية إن لزم الأمر.

كانت الحاجة للسرية واضحة. وكان الهدف هو عدم الدعاية للفصل العنصرى بشكل مباشر، إذ فهموا أن تلك مسألة خاسرة، بل التأكيد على القيمة الاستراتيجية لجنوب إفريقيا بشكل عام للعالم الغربى الحر، وعلى أنه بلد غنى بالمواد الخام ومهدد بانتشار الاستبداد الشيوعى من الداخل، ومن قبل الدول المجاورة والمدعومة بشكل مباشر من الاتحاد السوفييتى فى أوج الحرب الباردة.

فى الصباح التالى سافر رودى وميلتشان جنوباً تجاه بورت إليزابيث. وبوصول الطائرة لحدود المحيط الهندى مالت غرباً وحلقت بمحازاة خط غاردين روت الساحلى الجميل، وهو على الحافة الجنوبية للقارة. وهبطوا فى مدينة بليتينبرغ

باى الصغيرة الخلابة، بشواطئها البيضاء الذهبية. كانت تلك جنوب إفريقيا، المنعزلة، الشاعرية، السالمة، الآمنة التى أراد رودى لأرنون أن يشاهدها.

وأخبر رودى أرنون أنه دبر له شقة فارهة دائمة فى بليتينبرغ باى، وأن عليه أن يعتبرها منزله فى جنوب إفريقيا. وفيما استرخوا فى الشقة الجديدة، مضوا يتعمقون أكثر فى تفاصيل الخطة.

جوهرياً كانت الخطة هى أنه سيؤدى ذات الدور المالى لجنوب إفريقيا الذى كان يؤديه لإسرائيل، ويفتح حسابات مصرفية سرية ويودع فيها الأموال حسب توجيهات إسشيل رودى، بدون أى آثار تشير إلى جنوب إفريقيا. كان ذلك هو التفاهم الذى توصلا إليه ومضت الخطة قدماً.

بلغت الأمور ذروتها سريعاً بعد زيارة رئيس الوزراء فوستر الرسمية لإسرائيل فى ١٩٧٦ . وكان محور محادثاته مع رابين وبيريز يتعلق بتجارة الأسلحة والتكنولوجيا النووية فى مقابل رأس المال جنوب الإفريقى والمواد الخام. وتمت الموافقة فى الحال على بيع مدافع الهاون، ومعدات المراقبة الإلكترونية، وأنظمة الإنذار ضد حرب العصابات، ومعدات الرؤية الليلية، والرادارات، وقوارب الدوريات، ومروحيات بيل، والمركبات المدرعة، وقطع المدفعية لجنوب إفريقيا. وأمدت إسرائيل جنوب إفريقيا أيضاً بتصميمات طائرة كيفير المقاتلة، والتى كانت قائمة فى ذاتها على التصميمات المسروقة لطائرة سوبر ميراج من تصنيع شركة داسولت. ونتج عن ذلك إنتاج طائرة شيتا المقاتلة جنوب الإفريقية. وكان لابد من إمداد منصات الطائرة شيتا بالصواريخ اللازمة لها، وتكفلت بذلك شركة رايثيون عبر ميلتشان وقدمت أحدث الأنظمة.

وأتى يوم ٤ نوفمبر عام ١٩٧٧ بمزيد من الأخبار، إذ تبنى مجلس الأمن التابع

للأمم المتحدة القرار ٤١٨، والذى يفرض حظر الأسلحة الإجبارى على جنوب إفريقيا. وحتى ذلك الحين،كان حظر الأسلحة اختيارياً، لكن الآن تصرفت الأمم المتحدة بصرامة غير معهودة، مما عنى أن الولايات المتحدة والدول الأوروبية كان عليها أن تمتثل، أو على الأقل تدعى ذلك.

ووضع هذا القرار كلاً من إسرائيل وميلتشان فى الوضع المثالى للعمل كوسطاء سريين. وبالطبع ظاهرياً امتثلت إسرائيل رسمياً للقرار ٤١٨ لكن فى السر، وبمساعدة خدمات الشركات التى أسسها ميلتشان، لعبت إسرائيل دور المورد الرئيسى لأنظمة الدفاع العسكرى إلى جنوب إفريقيا،وكانت توجه ملايين الملايين من الدولارات للشراء من طرف ثالث ومن خلال البيع المباشر لصناعاتها العسكرية. وما كان الحظر ليكون في وقت أفضل من ذلك بالنسبة لكل من إسرائيل وميلتشان سواء بسواء. إذ كان متورطاً بقوة فى التحالف الإسرائيلي جنوب الإفريقى الذى كان آخذاً فى التطور السريع بصفته ممثل إسرائيل فى نادى العشرة، وكان ميلتشان يتمتع باعتباره جزءاً من دائرة النخبة الداخلية فى إسرائيل لأعوام، كان يعمل فى وضع مماثل فى جنوب إفريقيا،وهى بيئة أوسع كثيراً. ومثل زهرة ليلية، كان ميلتشان ينشط ليلاً.

وعمدت الدول الغربية إلى اللجوء لوسطاء من دول ثالثة حول العالم للتجارة فى السوق جنوب الإفريقى المربح بينما كانت تعلن موقفها المعارض شكلياً للفصل العنصرى. ويمكن القول إن كل ماسة تم شراؤها فى العالم الغربى كان تم استخراجها فى الأصل من جنوب إفريقيا وبذلك كانت تلك الدول تساعد على التمويل المريح للمنظومة العسكرية جنوب الإفريقية.

وخافت إسرائيل من الدلالات السياسية وخاصة الرمزية لحظر السلاح ووجدت

obeikandi.com

أنه من الأجدى لها تقويضه بشكل سرى، حيث اعتقدت أنه كان من الممكن دفع الغرب لدعم الحظر ضد جنوب إفريقيا، ومهما كان ذلك غير مؤثر، فإنه بالإمكان الدفع بحظر مماثل ضد إسرائيل أيضاً. ولهذا تبنت إسرائيل سياسة عدم الالتزام بالحظر، بالرغم من أنها دعمته شفهياً بشكل كامل.

كان يجرى شراء أى نظام أسلحة تحتاجه جنوب إفريقيا، والذى كان بالإمكان شراؤه مباشرة من إسرائيل، من السوق الدولية، وبدلاً من أن تنتهى الشحنة فى إسرائيل كما هو مبين فى وثائق المستخدم النهائى، كانت تحول إلى جنوب إفريقيا. وسرعان ما أصبحت شركة ميلتشان أكبر مشتر لمعدات الدفاع العسكرى لصالح الحكومة جنوب الإفريقية.

لكن بقدر أهمية أنظمة الدفاع العسكرى وربحيته، كان اليورانيوم هو شاغل إسرائيل الرئيسى فى علاقاتها بجنوب إفريقيا، إذ إن المواد الخام المبدئية لمفاعل ديمونة كانت تأتى من فرنسا ومن خلال سلسلة عمليات سرية أخرى لوكالة لاكام. وسهل بلومبيرغ شراء أول شحنة وقدرها خمسون طناً من أكسيد اليورانيوم من جنوب إفريقيا، لكنهم كانوا يبحثون عن شىء أكثر خطورة من ذلك، وهو حقل اختبارات نووى. وكانت إسرائيل واثقة من كفاءة أول جيل لها من الأسلحة النووية، والتى تم اختبارها فى فرنسا. لكن عقب حرب يوم الغفران، طورت إسرائيل القنبلة النيوترونية والتى تنطوى على تكنولوجيا أكثر تعقيداً، وكانت تتطلب على الأقل اختباراً واحداً.

وفى مقابل نقل التكنولوچيا النووية الحساسة، وافقت جنوب إفريقيا فى النهاية على السماح لإسرائيل بالدخول إلى المساحة الشاسعة لصحراء كالاهارى والمحيط الأطلسى لأغراض التجارب النووية. وجاء النقل النووى فى هيئة التايتينيوم. وكان

الجنرال فان دين بيرغ تواقاً لشراء ثلاثين جراماً من التايتينيوم من إسرائيل، أى ما يكفى لصناعة اثنتى عشرة قنبلة ذرية. وكان التايتينيوم يستخدم لزيادة قوة الأسلحة النووية بواسطة إحداث اندماج مع القنبلة النووية الحرارية.

وفى عملية اسمها الحركى تيبلير أو أوراق الشاى باللغة الأفريكانية، سلمت إسرائيل اثنتى عشرة شحنة من التايتينيوم المصنع فى ديمونة إلى جنوب إفريقيا فى هيئة كبسولات صغيرة، زنة كل منها ٥ر٢ جرام. كان بنيامين بلومبيرغ وإسشيل رودى، وميلتشان، وآخرون يعملون كمرافقين فى الرحلات الخاصة لطائرة سى ١٣٠ التى تحمل الكبسولات. وأمنت تلك الصفقات مواقع التجارب، وبمرور الوقت، تم شحن ٥٠٠ طن أخرى من اليورانيوم لإسرائيل.

وبحلول أغسطس ١٩٧٧ كانت إسرائيل مستعدة لإجراء اختبار تحت الأرض فى موقع اختبارات صحراء كالاهارى الجديد، لكن قبل ذلك ببضعة أيام، فى ٣٠ يوليو، لاحظ قمر استطلاع اصطناعى سوفييتى الاستعدادات للاختبار لما افترضوا أنها قنبلة جنوب إفريقية. وأبلغ السوفييت قلقهم لواشنطن. وبعد سبعة أيام، أكد قمر اصطناعى أمريكى اكتشاف السوفييت. وأرسلت اعتراضات فورية من الحكومات الأمريكية، والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية الغربية، وتم إلغاء الاختبار فجأة فى اللحظات الأخيرة. وكانت تلك نكسة، لكن لم يكن من المستحيل تخطيها.

كان ٢٢ سبتمبر عام ١٩٧٩، مساءً عادياً آخر. لكن كانت هناك عاصفة عاتية تهب فى المنطقة الجنوبية الغربية النائية فى المحيط الهندى،، وكان هذا معتاداً فى ذلك الوقت من العام. وعلى بعد آلاف الأميال، رصد التلسكوب اللاسلكى فى أريسيبو فى بورتو ريكو فجأة موجة كهرومغناطيسية شاذة فى السطح السفلى من طبقة الأيونوسفير الجوية منبعثة من منطقة المحيط الأطلسى والمحيط الهندى.

وفي ذات الوقت بالضبط، رصد قمر "فيلا" الاصطناعي الأمريكي وميضاً مزدوجاً مميزاً. وأبلغ بضعة صيادين تجاريين في المنطقة عن وميض هائل في الجوار قادم من جزيرة برينس إدوارد، والتي تقع على بعد ١٥٠٠ ميل جنوب غرب بليتينبيرغ باي. وأشارت بيانات مجسات الأشعة تحت الحمراء إلى ما يبدو كانفجار نووي، ربما من قنبلة نيوترونية ذات إشعاعات عالية. وساد الاعتقاد بأنه من المرجح أن التفجير قد تم على سفينة شحن تقع على مقربة من مركز قيادة عائم، ومن المحتمل أيضاً أنها انفجرت داخل حاوية صلبة مثل قبو تجاري.

انتظرت العقول المدبرة لتلك العملية بدهاء هبوب عاصفة قوية قبل البدء في التفجير، إذ إن العاصفة كفيلة بإزالة الأدلة الإشعاعية في البحر سريعاً. وعندما وصلت طائرات الاستكشاف الأمريكية إلى المنطقة لإجراء اختبارات على طبقات الجو، كانت العاصفة قد محت الأدلة بالفعل وكان لابد أن يستغرق الأمر أياماً قبل أن تصل سفينة مجهزة جيداً إلى الموقع لتجد القليل أو ربما لا تجد شيئاً.

كان البحر هائجاً ولم ترسل سفينة القيادة أية إشارات لاسلكية. كانت السفينة محملة بإلكترونيات معقدة ومجسات وكانت تتمايل بقوة. وعلى متنها كان العديد من العلماء والتقنيين الإسرائيليين وجنوب الأفارقة، والوسطاء الرئيسيين في العلاقة النووية السرية. شاهدوا الوميض وشعروا ببعض الخوف، وكثير من الحماس والإثارة.

كانت تلك ضربة موفقة مفاجئة وإحدى العمليات الأكثر سرية التي أدارتها إسرائيل ولاكام. وبدأت تفاصيلها تظهر للعلن بعد سنوات، بعد سقوط حكومة الفصل العنصري جنوب الإفريقية في عام ١٩٩٥، بعد أن كانت إسرائيل قد أجرت اختبارها. وكانت قنبلة نيوترونية صغيرة حجمها التفجيري يعادل ٢ أو ٣ كيلو طن،

وأثبتت مستوى عالياً من التطور.

واجتمع الخبراء الأمنيون الأمريكيون في محاولة يائسة لفك شفرة البيانات، وكان مجهوداً بدأ في الحال واستمر لأشهر تالية. استمر الجدل بشأن تفسير البيانات لأعوام، واستنتج معظم العلماء والخبراء النوويون عن يقين أنه كان انفجاراً نووياً. وكان الرئيس كارتر في موقف حرج، إذ إنه وفقاً للقانون الأمريكي، إذا أكدت الولايات المتحدة علناً أن إسرائيل على صلة بالاختبار النووي، فسيكون على كل من الرئيس والكونجرس وفقاً للمادة ١٦ من قانون ١٩٦١ المنظم للمساعدات الأجنبية، قطع المعونات العسكرية والاقتصادية لإسرائيل.

وينص القانون صراحة على أن تحرم الدول التي تمتلك أو تنقل الأسلحة النووية، أو المواد النووية، أو التكنولوجيا خارج الأنظمة الدولية لحظر الانتشار النووي - مثل معاهدة حظر الانتشار النووي والتي لم توقعها إسرائيل - من تلقي أية معونات عسكرية أو اقتصادية من الولايات المتحدة. ولهذا السبب لم تعترف الولايات المتحدة يوماً علناً بالترسانة النووية الإسرائيلية، ولهذا السبب ظل اختبار ١٩٧٩ مغلفاً بالغموض.

وإذا كان هناك وسيط مالي فاعل في حملة الدعاية العالمية المستترة لتحسين صورة جنوب إفريقيا، فقد كان هو ميلتشان، الذي قال إنه تصرف بناء على طلب بلده.

وأدار إسشيل رودي تدفق الأموال بشكل ثابت من شركة "ثور" للاتصالات التابعة لوزارة المعلومات، عبر حسابات أوروبية يسيطر عليها ميلتشان، والذي أنشأ بدوره شركات واجهة لشراء القنوات الإعلامية المؤثرة والهامة لجنوب إفريقيا.

ركز هو والعميلان جنوب الإفريقيان ديفيد أبرامسون وستيوارت بيغ أولاً على

الإعلام الإفريقى مثل ويست أفريكا، وهى مجلة هامة تصدرها أفترميديا إنترناشونال. واشترى التحكم الإدارى فى أفريكان ديفيلوبمينت وهى مجلة ربع سنوية. واشترك فى شراء يورأفريك، وهى مجلة شهرية تقرأ فى كل الدول الإفريقية المتحدثة بالفرنسية. ثم سعى جاهداً للسيطرة على عملاق النشر الإنجليزى مورغان غرامبين، وكان هذا تتويج العملية.

وعبر مورغان غرامبين كانت الخطة هى السيطرة على العديد من الصحف الهامة فى الغرب، ومنها الأويزيرفر فى إنجلترا، ولوكسيبريس فى فرنسا، وواشنطن ستار فى الولايات المتحدة، ولم يكن ثمة أداة أفضل من مورغان غرامبين للتحكم فى تلك الغنائم كما كتب إسشيل رودى فى كتاب فضيحة المعلومات الحقيقية الصادر عام ١٩٨٣ .

وفى نوفمبر ١٩٧٧، أفرج رودى عن ١,٨ مليون دولار لشراء أسهم كافية للسيطرة على إنفيستورز كرونيكال فى إنجلترا، وهى صفقة لم تتحقق. وجوهرياً نسق، رودى وميلتشان كشريكين، كل الأنشطة مستخدمين الحسابات السرية. والتى كان لها أن تنفجر لاحقاً فى وجهيهما!

obeikandl.com